# الفصل الثانى

## أطوار التربية الاسلامية

● **توطئـــة :**

لسنا بصدد التعرض للتربية الاســلامية ·· محاولة لرسم خطوط نظريتها ، ولكنا فى معرض التمهيد باشارات سريعة لتطور **مفهوم التربية الاسلامية** ، نبدأ بخير القرون ثم نثنى بالفترة بين القرن الرابع الى الثامن وننتهى فى الفترة من القرن الثـامن حتى الآن · · ·

وقبل أن نشير الى هذه الفترات ، نود أن نقول انه لأول مرة فى التاريخ تتواجد على الأرض نظرية تجمع بين المثال والواقع ، **وتصل** ضرورات الجسد بأشواق الروح ، وتربط الأرض بالسماء ، وتصل الدنيا بالآخرة ، وتعلى من شأن الانسان ذلك الكائن الذى **كرمه ربه** على ســائر الكائنات ، ورباه ربه الأكرم بأكرم أنواع **التربية** ··

وذلك ما سوف يتضح بعد قليل ··· بمشيئة الله ·

**١ ـ الفترة الأولى خير القرون ( الأول ـ الثالث ) :**

فيها كان الوحى ·· قرآنا وسنة ·

وفيها شهد الصحابة والتابعون ، وتابعو التابعين .. سيرة رسول الله ﷺ أو سمعوا عنها من قريب ، وهى بعد غضة !

وفيها .. كان الوحى يربى .. توجيها وتشريعا .

وفيها .. كان النبى ﷺ .. يربى قدوة وأسوة !

وفيها .. كان من بعده على طريقه .. يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم !

وشهد العالم – لأول مرة – نظرية شاملة متكاملة ، تجمع الرغب والرهب ، والدنيا والآخرة ، والواقع والمثال ، وترعى الانسان بكل طاقاته ومكاناته .

ولئن تمثلت فى نصوص ، فقد تبعها التطبيق ، على أروع مثل للالتزام والتطبيق وتبعها الاجتهاد من الصحابة ثم التابعين وتابعى التابعين وأئمة المذاهب .

ولعل هذه الفترة هى التى سوف نقدمها بمشيئة الله عند صياغة النظرية ( الباب الثانى ) .

* * *

**٢ – الفترة الثانية ( من القرن الرابع الى القرن الثامن ) :**

لئن أرست الفترة الأولى الأصول ..

فلقد كانت هذه فترة التفريع ... أينعت الشجرة المباركة ثمارها تطبيقا ، وتفريعا فكانت مدارس تربوية متعددة :

● **مدرسة المحدثين والفقهاء :**

ولئن بدأت هذه المدرسة منذ القرن الثالث ، فى توافق بين المدرستين الا أنه مع القرن الرابع بدأت تتميز مدرسة المحدثين بالوقوف عند التراث ، ومدرسة الفقهاء ( أو مدرسة الرأى ) بالغوص فى الأدلة والتفريع عليها والنظر فيما تركه الأئمة ومن ثم اعتمد كل فريق طريقه أساسا للتربية .

● **مدرسة التصوف :**

تبلورت الصوفية فى القرن الثالث ، وبدأت تصوغ أصولها فى تهذيب النفس وتزكيتها (١) ، ولم تكن على النحو الذى يراه الناس الآن انحرافا عن سنة رسول الله ﷺ ، أو اتباعا للبدع ...

واستمرت تضع المنهج لتربية المريد نظريا وعمليا ... وان غيرت بعد ذلك وبدلت .

● **مدرسة الفلسفة :**

وفيها كان الاهتمام بالمنهج العقلى ، والمنطق والجدل واستخدم ذلك كله فى قضايا الايمان كما استخدم فى منهج التربية الاسلامية .

---

(١) ظهرت فى القرن الرابع مدرستان للصوفية الملتزمة بالاطار : الأولى فى نيسابور يقودها أبو نصر السراج ( المتوفى ٣٧٨ هـ ) الثانية فى بغداد ويقودها نفر من الشيوخ أبرزهم جعفر بن محمد الخلدى ( المتوفى ٣٤٨هـ ) .

واتجه بعضهم الى قيام التربية على أسس ثلاثة :
علم نفس تربوى قائم على تحليل النفس ٠
وأساس اجتماعى يبلور معنى الخير والسعادة ٠
وأساس فلسفى يحدد ما هو فاضل وما هو رذيل (٢) ٠

● **مدرسة علماء الكلام :**

واتسمت هذه المدرسة فى مجال التربية بما يلى :

– التوسع فى المناظرة – وقد بقى علماء السنة بعيدا عن هذا الميدان ثم ولجوه ٠

– الأخذ على التحديث من الذاكرة – بمقولة أن المحدث لا يسلم من الخطأ ٠

– استمرار الأساليب الأخرى : كالاملاء ، والاجازة ، والاسئلة والقراءة (٢) ٠

* * *

**٣ – الفترة الثالثة – فترة التقليد :**

وقد بدأت منذ القرن الثامن واستمرت حتى الآن ٠
وهو جيل لم يسعد بابتكار الأصول ، ولا بابتكار التطبيق ،

---

(٢) د٠ ماجد عرسان الكيلانى – تطور مفهوم النظرية التربوية الاسلامية ص ١٢٤ ٠
(٣) المرجع السابق ٠

بل عاش الجمود وعايش التقليد ، وانعزل المفكرون فيه عن ظروف العصر ، ولم يعودوا يؤثرون أو يتأثرون بل انتشر التعصب المذهبى، وندرت القيادات المستنيرة ، وكثرت الخرافات الصوفية وظهرت فى هذه الأجيال آثار الانقسام المذهبى ٠

لكن الفترتين لم تعدما رجالا فى مجال التربية :

أمثال على بن محمد الماوردى ( ٣٦٤ ـ ٤٥٠ هـ ) وكان أشعريا تحمس لآراء الأشعرى ، واعتبر أساس العمل لبلوغ سعادة الدنيا والآخرة تربية الطفل ٠ وأنكر التقليد ودعا للحرية ٠

وأمثال احمد بن على الخطيب البغدادى ( ٣٩٢ ـ ٤٦٣ هـ ) تأثر بأستاذه الماوردى ٠

وأمثال أبو حامد بن محمد الغزالى ( ٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ ) ٠

وهنا أنشأ الغزالى مدرسة ربانية أخروية لكنه لم يغفل عن الأمور الدنيوية فقد قسم العلوم الى : شرعية ، وعقلية ، وطبيعية ، ومهن وصناعات ، وهو يهتم ببناء العقيدة الاسلامية ثم تزكية النفس للارتقاء بالانسان من مستوى الخضوع للأهواء والشهوات الى مقام العبودية لله ـ والنفس والقلب والروح أسماء متعددة لجوهر واحد هو جوهر الانسان ثم دراسة القرآن ٠ ثم الاعداد الوظيفى ( الحكمة ) ٠

وأخيرا ابن تيمية ( ٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ ) ٠ وقد جدد الفكر التربوى٠ وابن خلدون ( ٧٣٢ ـ ٨٠٨ هـ ) ٠

* * *

## ● مع بشائر فجر جديد :

وقبل أن ننتهى من مراحل تطور التربية الاسلامية نشير الى أن النصف الثانى من القرن الرابع عشر الهجرى قد شهد صحوة **اسلامية ... تجدد فى الفكر** ، وتجدد فى **الأسلوب** ، وتجـدد فى **الوسائل** ، **وان التزمت أصول السلف الصالح** ... فجمعت بين الأصالة والتجديد ، ورغبت الى ايقاظ الأمة من سبات عميق ، وعمدت الى وسائل التربية العديدة القديم منها والحديث فأخضعتها لمعايير **الاسلام** ، **وخلصتها من الجمود** ، كما خلصتها من الابتداع ، يقول صاحب **هذه المدرسة** :

« أيها الاخوان المسلمون .. أيها الناس أجمعون :

فى هذا الصخب الداوى من صدى الحوادث الكثيرة الحبالى التى تلدها الليالى .

فى هذا الزمان ، وفى هذا التيار المتدفق الفياض من الدعوات التى تهتف بها أرجاء الكون وتسرب بها أمواج الأثير فى أنحـاء المعمورة ، مجهزة بكل ما يغرى ويخدع من الآمال والوعود والمظاهر .

نتقدم بدعوتنا نحن ...

هادئة .. ولكنها أقوى من الزوابع العاصفة ....

متواضعة .. ولكنها أعز من الشمم الرواسى ...

محدودة ٠٠ولكنها أوسع من حدود هذه الأقطار الارضية جميعا ٠٠

خالية من المظاهر الزائفة والهرج الكاذب ، ولكنها محفوفة بجلال الحق وروعة الوحى ، ورعاية الله مجردة من المطامع والأهواء والغايات الشخصية والمنافع الفردية ، ولكنها تورث المؤمنين بها من الصادقين فى العمل لها السيادة فى الدنيا والجنة فى الآخرة ٠

أيها الاخوان المسلمون ٠٠ أيها الناس أجمعون :

لسنا حزبا سياسيا ، وان كانت السياسة على قواعد الاسلام من صميم فكرتنا ٠٠

ولسنا جمعية خيرية اصلاحية ، وان كان عمل الخير والاصلاح من مقاصدنا ٠٠

ولسنا فرقا رياضية ، وان كانت الرياضة البدنية والروحية من أهم وسائلنا ٠٠٠

ولكننا ــ أيها الناس ــ فكرة وعقيدة ونظام ومنهاج ، لا يحدده موضع ولا يقيده جنس ولا يقف دونه حاجز جغرافى ولا ينتهى بأمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، ذلك لأنه نظام رب العالمين ومنهاج رسوله الأمين » (٤) ٠

* * *

---

(٤) من رسالة « تحت راية القرآن » ، وتعد رسالة « التعاليم » للامام ــ رحمه الله ــ منهج تربية متكامل جمع بين التوجيه الروحى والعقلى والجسدى ٠٠ وارتقى بالفرد الى مرحلة الجهاد ، وهى التى أسماها رسول ﷺ ذروة سنام الاسلام ، وقد طبقها حوالى عشر سنوات ، فتم له تربية حول عشرة آلاف على منهج الاسلام ٠